

# كيف يمكن للمربي أن يقوي روابط المجموعة الصفية؟

فاطمة عليان

محاضرة ومرشدة في كلية دافيد يلين للتربية

## مقدمة

لا شك بأن المعلم هو أداة التغيير في المجتمع، فدوره لم يعد مقصوراً على عملية التدريس ونقل المعرفة، بل تعدى هذا الإطار ليصبح الإنسان المسؤول عن توفير الأجواء الاجتماعية الدافئة داخل غرفة الصف، والتي تقوم على توثيق العلاقات وروابط الاحترام والاتصال بين أفراد الجماعة الصفية. فعندما ينتقل الطفل من البيت إلى المدرسة فإنه يلتقي بأفراد وجماعات مختلفة من الطلاب، فيبدأ بتكوين الصداقات والبحث عن ذاته من خلال مجموعة الرفاق، حتى يحقق الانتماء والقبول الاجتماعي داخل مؤسسة المدرسة بشكل عام والصف بشكل خاص. فالصف هو المكان الأساسي الذي يحدث فيه التفاعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية التي تسهم في نمو الفرد، من خلال إبراز أهمية دور الجماعة في تحقيق نموه الاجتماعي والوجداني. من هنا يمكن اعتبار الجماعة الصفية الصغيرة هي الحلقة التي يحقق فيها الطالب ذاته؛ عن طريق العمل التعاوني مع زملائه الآخرين، فتحدث عملية الاتصال المشتركة والمتبادلة بين القوى الدامنة في مبنى جماعة الصف. لذلك يحتاج كل مربي فينا للتعرف على أعضاء مجموعته صفه، ومدى تشابه واختلاف العلاقات بينهم، لكي يستطيع تحديد الاتجاهات والقيم والمفاهيم بينهم، وترسيخ العلاقات الوثيقة المبنية على أساس من الصراحة والثقة والتعاون، التي تساعد على فهم الديناميكية الاجتماعية التي تحدث داخل صفه.

ومن هنا تبرز أهمية هذا المقال، لأنه سيتطرق إلى مفهوم وحدة الجماعة الصفية، وتوظيف أداة "السيسيوغرام" كأداة مساعدة للمعلم في بناء مجموعة صفية داعمة، من حيث مفهومها وكيفية إعدادها وتحليل نتائجها، بالإضافة إلى استعراض تجربة بعض المعلمين في استخدام هذه الأداة أثناء تأهيلهم لمهنة التعليم في كلية دافيد يلين.

## وحدة الجماعة الصفية

يعتبر (كامل، 2001) بأن الجماعة تنشأ في الأساس نتيجة أسباب نفسية وحاجات لا يستطيع الفرد تحقيقها إلا من خلال وجوده مع الآخرين، فالإنسان يحتاج للأكل والشرب كحاجات أساسية، ولكنه يحتاج لإشباع حاجاته الاجتماعية، أي أن يكون له جماعة من الأصدقاء والزلاء، لتحقيق حاجته للانتماء والأمان والقوة والعضوية وتكامل الذات. عند التحاق الطالب بالمدرسة يلتقي بجماعات مختلفة من الطلاب بعد انتقاله من بين أفراد أسرته، ليلعب ويتصل معهم، حتى يصبح عضواً في جماعة صفه ويثبت مركزه ومكانته، فبعض الطلاب يتأثر سلوكهم بتلك الجماعة لتحقيق أهداف جماعتهم، عن طريق عملية الاتصال والتفاعل، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. ويظهر ذلك من خلال القواعد السلوكية والمعايير الاجتماعية السائدة بينهم، كالاتجاهات والقيم والعادات المشتركة.

ويمكننا القول بأن مفهومنا للجماعة وجماعة الصف بشكل خاص يعني وجود مجموعة من الأفراد تجمعهم حالة اعتماد متبادل، ينتج عن اتصال وسلوك متتابع ومنظم، وهذا ما يسمى بديناميكية الجماعة.

أشار عمر وآخرون (1992) إلى ثلاثة عوامل تساعد في فهم ديناميكية الجماعة:

### أولاً: عامل الاعتماد الوظيفي المتداخل:

ويعني أن أفراد الجماعة يعملون كوحدة واحدة يجمعهم مصير واحد. لذلك على المعلم تقسيم العمل داخل غرفة الصف، ليضمن عملاً جماعياً متكاملًا، فمن خلال مشاركة الأفراد في المشاريع والواجبات تنشأ بينهم علاقات اجتماعية وشخصية، تحفز أعضاء الجماعة على العمل الذي يضمن تماسك الجماعة.

### ثانياً: عملية الاتصال:

ويحدث من خلالها التفاعل وبناء الأدوار والمعايير داخل الجماعة، فعند توقف عملية الاتصال تختفي الجماعة، فعلى المعلم تنظيم عملية الاتصال ومعاني السلوك المتبادل حسب شخصية وقدرة كل فرد داخل الجماعة بصفته قائد الجماعة، الذي يتصرف وينسق العمل ويتخذ القرارات، ليقوي من تماسك الجماعة.

كما ويؤكد (سميث، 1977) بان جماعة الصف هي جزء من نظام اجتماعي كبير، حيث تقع على المعلم المسؤولية والسلطة لرعاية الأطفال وفهم توقعاتهم منه، لذلك عليه مساعدة هؤلاء الطلاب في تحديد أدوارهم وبناء المعايير الصفية، لأن الأعضاء لا يستطيعون ترك الجماعة التي ينضمون إليها. فكلما كان هنالك تفاعل بين الأفراد مبني على أساس الاتصال ثنائي الاتجاه، تبرز فرصة الإبداع والمحاورة والإقدام والمشاركة للجماعة والأعضاء فيها (شتا والجولاني، 1997).

### ثالثاً: عامل التنظيم المترابط للسلوك:

بدون الربط الجماعي لا تستطيع الجماعة الاستمرار والتماسك، سواء كان ذلك من خلال الجزاءات التي تضم أشكال المديح والتوبيخ، أو اللامبالاة بين الأعضاء. يتضح مما سبق أن للعملية الاجتماعية التي يحظى بها الفرد داخل الجماعة تأثيراً على سلوكه، ليتطابق مع معايير الجماعة من خلال تنمية الشعور الجماعي (نحن) عند الطلاب داخل الصف مثلاً، ومن خلال قبولهم وتطابق سلوكهم مع الجماعة، وعند ذلك يتضح لهم بان خروجهم عن هذه العملية لا يخدم تواصلهم بفعالية مع النظام الصفّي ( شتا والجولاني، 1997).

وعليه فإنني أرى بان جماعة الصف هي جماعة أولية ، لأن عملية التفاعل والاتصال تعتبر أساسية ، كما أنها تتميز بوجود مصالح واهتمامات مشتركة لدى الأفراد ، فمن خلالها يحاول المجتمع غرس الشعور الجماعي الوجداني والعاطفي لدى الطلاب . وأيضاً من خلال هذه الوحدة الاجتماعية (جماعة الصف) يشبع الفرد حاجاته الاجتماعية، ويغرس قيم المجتمع الذي يعيش فيه ، ويشمل ذلك معرفة التناسق والانسجام والمحبة ، وأيضاً الاختلافات وأجواء المنافسة والصراع ، لتأكيد الذات ، من خلال الشعور الجماعي (نحن).

### مراحل بناء جماعة الصف :

#### المرحلة التمهيديّة :

وهي مرحلة تكوين الجماعة ، حيث تكثر فيها المفاهيم والتوقعات الخاطئة عن الأعضاء ، فعلى المعلم تصحيح المفاهيم الخاطئة في أذهان الأعضاء ، من خلال

المقابلات الجماعية والفردية ، وفي أجواء من الموضوعية والعقلانية، لكي يتسنى للمشاركين فهم أنفسهم وتأكيد ذواتهم وهوياتهم ، بزرع المحبة والاحترام المتبادل ، ويمكن عمل ذلك بطريقة فعاليات كسر الجليد ، كإحضار أدوات وألعاب ، حيث يعرف كل شخص نفسه من خلال اللعبة التي اختارها (منسي، 1998).

## 2. مرحلة العمل الجماعي :

والتي تتمثل بوجود بعض الصراعات الحادة بين الأعضاء ، والمتمثلة بالسلوك العدواني أو الهجومي ، لذلك ينبغي على المعلم تشجيع الطلبة على إظهار مشاعرهم وأحاسيسهم ، للوصول إلى أسباب مخاوفهم ، وتوضيح السلوكيات السلبية التي يبدونها بعضهم تجاه القائد. ومن هنا يمكن للمعلم استخدام فعاليات معينة داخل المجموعة ، كالاسترخاء الداخلي ، والرسم ، وبناء شبكة من الخيطان ، لتوضيح المشاعر الداخلية والعلاقات البيئية. للإفصاح عن أسباب الصراعات ، ما يؤدي تدريجياً إلى العمل بروح الجماعة والفريق (منسي، 1998).

## 3. مرحلة تماسك الجماعة :

وتتبلور عند وصول الجماعة إلى درجة التفاهم المشترك والتعاون والتفاعل الديناميكي والتأثير ، حيث يجدون أنفسهم متجاذبين ومتسامحين ، ما يؤدي بهم إلى التماسك الذي أشار إليه كل من ( زهران، 1987) و( الكندري، 1992) و( كامل، 2001)، بان تماسك الجماعة يعني مدى قوة جذب الجماعة لأعضائها ، وقوة إدراكهم للانتماء إليها، حتى يصل بهم الأمل إلى استبدال كلمة التخاطب" انتم" بكلمة " نحن" ، أي أن الكل للفرد والفرد للكل.

في هذه المرحلة على المعلم عرض نماذج للتماسك الذي أظهره الأعضاء داخل الجماعة ، وتقدير أسلوب قيادة الجماعة ، وتشجيع السلوكيات التي تدل على الثقة والإنتاج بين الأعضاء ، كقول المعلم بعد نهاية مرحلة من العمل: " أنا فخور بما يقوم به صفكم".

#### 4. المرحلة النهائية :

تعتبر هذه المرحلة مهمة في حياة جماعة الصف ، لأنها قد تترك آثارا ايجابية أو سلبية إذا ما تمت رعاية رائد الجماعة (المعلم) لجميع الأعضاء، فعندما يكتسب الطلبة خبرات مؤلمة في العمل الجماعي، فإنهم بالتالي يرفضون طلب المساعدة من أي فرد في نطاق الجماعة.

أيضا توضح هذه المرحلة المهارات التي اكتسبها أعضاء الصف، سواء في تفاعلهم اللفظي أو غير اللفظي داخل الجماعة ، باعتبارها المكان الفعلي لاختبار وإدراك كل طالب لنفسه وذاته وقدرته على اتخاذ قراراته وتكييف نفسه مع جماعة صفه (منسي، 1998).

#### الاختبارات السوسيومترية

تعتبر الاختبارات السوسيومترية من أشهر الأساليب المستخدمة لإدراك تركيب وترابط الجماعات المختلفة. ويعتبر العالم النفسي مورينو (1934) المؤسس الفعلي للسوسيوغرام الذي هو أحد فروع علم النفس الاجتماعي.

أصل كلمة سوسيوغرام لاتيني ، وهي مكونة من مقطعين : المقطع الأول Sozins أي الجماعة والثاني Metron أي مقياس. ويطلق على الاختبارات السوسيومترية أحيانا المقاييس السوسيومترية ، لأنها ليست اختبارات بالمعنى المعروف لهذه الكلمة ، ولكنها توصف لتقدير وقياس درجة التجاذب أو التنافر في مجموعة معينة (Hoffman, 2001).

ويضيف مصالحة (1995) بأن هذه الأداة تعتبر الوسيلة التي تساعدنا في فهم تأثير العلاقات على مبنى الجماعات والأفراد، ويمكننا بواسطتها إظهار الصورة العامة للعلاقات الاجتماعية في جماعة ما.

من جهة أخرى اعتبر زهران (1984) الاختبار السوسيومتري مقياساً للعلاقات الاجتماعية التي تغير في تقدير الآخرين choices أو الرفض rejection داخل الجماعة، بحيث تساعدنا كمربين على إعادة بناء الجماعة.

#### إعداد الاختبار السوسيومتري :

عند إعداد المعلم لهذا الاختبار، عليه مراعاة ما يلي:

1- أن يكون الاختبار شاملا لكل أفراد الصف والمعروفين لبعضهم البعض، فيطلب منهم على سبيل المثال الإجابة عن الأسئلة بسرية تامة ، كان يختار الطالب عددا من زملائه : (واحداً أو اثنين أو ثلاثة) يرغب في مشاركتهم عند تنفيذ نشاط معين ، كمرافقتهم له في رحلة لحديقة الحيوانات (زهران،1984).

2- أن يراعي المعلم في إعداد الأسئلة مستوى فهم أفراد الصف لها ، فإذا كان الاختبار موجهاً للمرحلة الأساسية الدنيا أي الصفين الأول والثاني الأساسيين ، فينبغي أن تكون الأسئلة شفوية، ويسجل المعلم إجاباتهم ، ثم ترصد النتائج باستخدام الرسم البياني .

أما بالنسبة للطلاب الذين هم فوق الصف الثالث الأساسي، فيقدم لهم المعلم نموذجاً من الأسئلة ، ويترك لهم الحرية في الإجابة عنها.

3- عند تعدد المواضيع التي تختبر فيها الجماعة الصفية ، يقوم المعلم بتخصيص سوسيوغراما خاصا لكل موضوع. فمثلا يوضح السوسيوغرام الأول: ( من هو أفضل تلميذ في الصف) ، والثاني : (مع من يفضل الطالب العمل) ، والثالث: (من هو التلميذ الذي يفكر في دعوته إلى حفلة عيد ميلاده).

والنموذج الآتي يوضح مثالا لأنواع الأسئلة في الاختبار السوسيومترى، فعلى سبيل المثال يوجه المعلم أسئلة عن:

- علاقات الطفل الخاصة داخل المجموعة.

- أسئلة تتعلق بجماعة الصف.

- أسئلة حول المهارات الاجتماعية للجماعة.

ويمكن للمعلم تطوير وتطبيق هذا النموذج بما يتوافق ومجموعته الصفية.

## أنواع العلاقات الاجتماعية في الجماعة

الاسم: \_\_\_\_\_ التاريخ: \_\_\_\_\_

العمر: \_\_\_\_\_ الصف: \_\_\_\_\_

تهدف هذه الاستمارة إلى التعرف على أنواع العلاقات الاجتماعية، لذا نرجو قراءة الاستمارة بتمعن والإجابة عليها، علما بان هذه المعلومات ستحاط بالسرية التامة ، ولن تستخدم إلا في الأغراض العلمية فقط.

وشكرا لتعاونكم

أ. أسئلة عن علاقات الطفل الخاصة:

1. من هو صديقك المفضل؟ \_\_\_\_\_

2. ما اسم الطالب الذي لا تحبه؟ \_\_\_\_\_

3. إذا ضاع قلمك أو أحد أغراضك المدرسية ، من تتوقع أن

يساعدك؟ \_\_\_\_\_

4. من تشعر انه يحبك كثيرا في الصف؟ \_\_\_\_\_

5. من هو الطالب الذي تحب أن تكون مثله؟ \_\_\_\_\_

ب. أسئلة تتعلق بداخل جماعة الصف

1. من هو الطالب الذي تشعر انه مميز في صفك؟
2. من هو الطالب المقرب لدى المعلم؟
3. من هو الطالب الذي يحبه الصف كثيرا؟
4. من هو الطالب الذي يتحدث معه الأولاد كثيرا؟
5. من هو الطالب الرياضي داخل الصف؟

6. اذكر ثلاثة طلاب لا تحب أن ترافقهم أثناء الرحلات؟

ج. أسئلة حول المهارات الاجتماعية :

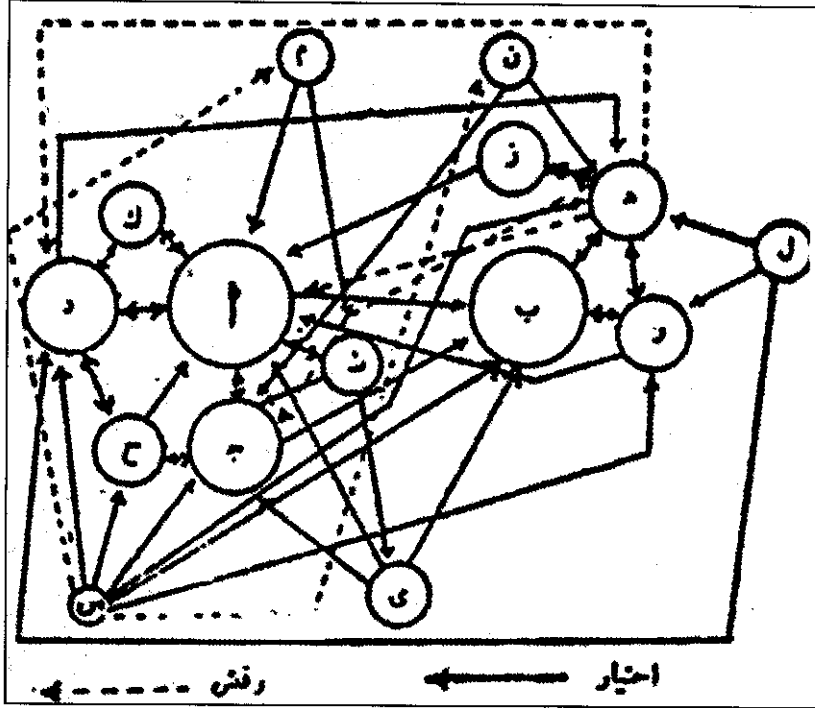
1. من هو الطالب الذي يستطيع ضبط الصف في غياب المعلم؟
2. من هو الطالب الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية تنظيم رحلة أو حفلة؟
3. إذا كنتم بحاجة لرئيس دولة ، من ترشح من طلاب صفك لهذا المنصب؟
4. من هم الطلاب الذين يؤثرون على تنفيذ قرارات داخل الصف؟
5. من هم الطلاب الذين يصعب عليك تغيير رأيهم داخل الصف؟
6. من ترشح ليكون أميناً لصندوق التوفير في الصف؟



- 4- بعد الانتهاء من إعداد النموذج ، يتوجه المعلم إلى جماعة صفه ليوضح لهم الهدف من هذا النموذج ، ولكي يعطيهم الثقة والصدق في الإجابة عليه.
- 5- يجمع المعلم نماذج الاختبار ، ويقوم بتفريغ الإجابات وتفسيرها حسب مواضيع الاختبار. فمثلاً إذا ظهر لديه أن عدد الطلاب الذين اختاروا الطالب "نور الدين" قد بلغ (20) طالباً من أصل (30) ، يستطيع أن يتأكد بأن الطالب " نور الدين " يحظى بنسبة كبيرة من الأصوات التي تؤهله لقيادة الصف.
- 6- الحصول على معلومات هامة عن بناء جماعة الصف أهمها ما يلي (زهرا، 1984):

- التعرف على النجوم (Stars) ، أي الذين يحصلون على أكبر عدد من الأصوات ، أو الذين يتمتعون بشعبية كبيرة داخل الجماعة، وهم الذين يمكن أن يكون لهم التأثير الأكبر عند توليهم مسؤوليات معينة في الصف.
- التعرف على المرفوضين (Rejected) ، أي الذين يحصلون على أكبر عدد من أصوات الرفض ، ويشكلون الفئة غير المتوافقة اجتماعياً مع جماعة الرفاق ، ونادراً ما يكون لهم أصدقاء.
- التعرف على المعزولين (Isolated) ، أي الذين لا يحصلون على اختيار أو رفض من قبل المجموعة، لذلك على المعلم العمل على دمج هؤلاء الطلاب مع المجموعة ، فإذا أظهرت لديه نتائج تحليل الاختبار أن الطالب "أحمد" هو الطالب المرفوض داخل جماعة صفه، فعليه دمجهم في المجموعة ضمن فعاليات ونشاطات خاصة ، من خلال إعطائه مسؤولية بسيطة تفيد كل الصف ، كتوزيع القصص على كل طلاب الصف في حصة القراءة، حتى تشعر المجموعة بأهمية وجوده بداخلها، وفي حالة تغيبه لا توزع القصص.
- معرفة الاختيار المتبادل والرفض المتبادل ، والذي يوضح مصطلح "القلوب عند بعضها"، فعلى سبيل المثال إذا اختار الطالب "رامي" زميله "أسامة" كأمين للصف، ومن جهة أخرى اختار الطالب "أسامة" زميله "رامي" لنفس المهمة؛ فهذا يعطي المعلم إشارة بأن طلاب صفه يحرصون على مشاعر زملائهم وصدقاتهم وثقتهم المتبادلة.

- التعرف على المجموعات الصغيرة الزوجية أو الثلاثية أو الرباعية داخل غرفة الصف "شيل الصف".  
والرسم الآتي يوضح العلاقات الاجتماعية في صف ما:



المصدر: كتاب علم النفس الاجتماعي، زهران، 1984

تمثل الأحرف الأبجدية داخل الدوائر رموزاً لطلبة الصف، أما الاختيارات بين الأفراد فقد أشير إليها بأسمهم مستقيمة توضح رؤوسها اتجاه الاختيار. فإذا كان الاختيار متبادلاً يكون السهم ذا رأسين. أما الرفض فيمثل بأسمهم متقطعة. ومن المفضل أن تتحني الأسهم لكي تتفادى الدوائر ولا تخترقها. من خلال هذا الرسم نستطيع أن نصل لنفس النتائج السابقة لتمثيل الاختيار، ولكن بصورة أخرى.

## السوسيو غرام وتأهيل المعلمين

من أهم ما يميز برنامج التأهيل للمعلمين في كلية دافيد يلين هو التركيز على تطوير الجانب المهني والشخصي عند الطلاب. ويأتي ذلك من خلال قيام هؤلاء الطلاب بالتدريب الميداني في المدارس العادية والخاصة. فمن خلال التدريب العملي (Practice) يستطيع الطالب المتدرب أن يطور لديه المسؤولية الذاتية تجاه عمله مع طلاب صفه كمعلم للمستقبل. أيضاً يعتمد هذا الجانب المهني على مدى إلمام الطالب بالمادة التعليمية وطرق التدريس البديلة التي تناسب قدرات الطلاب واحتياجاتهم. أما الجانب الشخصي والذي يركز على تنمية شخصية المعلم المتدرب ومعاملته الإنسانية مع تلاميذه ، والتي تقوم على أساس الاحترام والثقة والإصغاء والتقبل والاهتمام (عليان، 2000؛ عليان، 2004؛ هريش، 2004).

تقوم العديد من المساقات العملية في برنامج التأهيل بتزويد المعلم بأدوات تساعده على المعرفة والفهم لعملية التدريس ، من خلال تواجده في الحقل العملي (المدرسة). حيث يقوم الطالب المتدرب بتنفيذ الدروس الجماعية والفردية والمشاهدات ، التي تمكنه من ملاءمة نفسه مع متطلبات الحقل التربوي (Zelkowitz, 1998).

أثناء قيامي بتدريس مساق العمليات الاجتماعية داخل غرفة الصف، قمت بتكليف الطلبة المتدربين بإعداد استمارة لقياس العلاقات الاجتماعية داخل غرفة الصف، ومن ثم توجهوا الى غرفة الصف ووزعوا الاستمارات على التلاميذ؛ ومن ثم قاموا بعمل المشاهدات ، وتحليل الاستمارات المبنية على فكرة الاختبارات السوسيومترية. وقد عبر هؤلاء الطلاب المتدربون عن تجربتهم المميزة ، كونهم تعرفوا على صورة لبروفيل العلاقات الاجتماعية داخل جماعة الصف، كالطلاب الذين يتمتعون بقيادة الصف والذين يُعرفون بأنهم نجوم الصف. حيث تقول إحدى الطالبات المتدربات : إن الطالب القائد هو الذي يحدد للآخرين مهماتهم ، ويكون أغلبية الطلاب داخل الصف تحت سيطرته وقدرته، مثل الطالب " يوسف " الذي حصل على 25 صوتاً ، واختير من قبل طلاب صفه والبالغ عددهم 34 طالباً".

أضافت طالبة أخرى أيضاً بأنها استطاعت تكوين فكرة عن الطلبة المعزولين (Isolated) وكيفية التعامل معهم عندما تصبح معلمة، حيث قالت : "بعد تفريغ الاستبيان والمشاهدة الصفية تبين لي أن الطالب المهمل بشكل كلي يجلس في زاوية الصف بعيداً

عن المعلمة. ومن خلال قيامي بالمشاهدة لم يتفوه هذا الطالب بحرف واحد , وعندما حاولت التحدث معه لم يجبني ، وردد الطلاب : هذا تيس الصف قاعد في جهة الكسلانين".

أدرك الطلاب المتدربون بأن الصف يحتوي بشكل عام على جماعة من التلاميذ. وهذه الجماعة لها كيانه وبنائها وعلاقاتها. يوجد داخل الصف أفراد مختلفون في الأدوار والتوقعات؛ فهناك تلاميذ يتمتعون بالقبول والمحبة أكثر من غيرهم داخل الجماعة الصفية، ومن جهة أخرى يوجد تلاميذ مرفوضون ومهملون من قبل زملائهم ومعلم الصف. وعن ذلك عبّر أحد الطلاب المتدربين : " كانت نتائج التفريغ متطابقة إلى حد كبير مع توقعات المعلمة وتوقعاتي حسب المشاهدة. فقد حصل الطالب " فؤاد" على أكثر الأصوات والاختيارات بأنه الطالب المحبوب والقائد والصديق المفضل لدى أغلبية طلاب صفه. كما أن المعلمة أكدت لي بأنه طالب مجتهد ونظيف ويستحق التقدير، حيث تشعر بأن الطلاب داخل الصف يلاحظون حبها الزائد له ، ومعاملتها الخاصة له ، وتركيز الثناء عليه".

يؤدي استخدام السوسيوغرام إلى مساعدة المعلم على فحص نفسه ، وكيفية معاملته لطلابه داخل الصف. لذلك تقع على المعلم المسؤولية بأن يكون منصفاً وعادلاً بين التلاميذ. حتى يستطيع توزيع الأدوار والواجبات ، والمشاركة في العمل الجماعي بشكل منظم. وذلك لأن حياة العمل الجماعي تترك آثاراً سلبية أو إيجابية إذا لم تتم رعاية المعلم (مربي الصف) لجميع أعضاء الصف ومشاعرهم تجاه أنفسهم والآخرين. فعند اكتساب الطالب الخبرات المؤلمة ، كرفض الآخرين له، فإن إنجازه يتأثر سلبياً، وعن ذلك عبّر أحدهم بقوله : " بعد توزيع الاستبيان تبين أن الطالب المشاغب داخل الصف هو "عصام" رئيس الشئلة ، ومعه لؤي وزياد وحمزة ، وموقعهم بجانب الباب بعيدين عن المعلمة بسبب مشاغبتهم وثرثرتهن المتواصلة ، وفي أثناء مشاهدتي كان هدفه التشويش على المعلمة ، وكان ذلك بسبب إهمالها لهم والتركيز على الطالب "علاء" ، الذي تبين أنه القائد داخل صفه. وهؤلاء الشئلة في تفريغ الاستبيان كانوا من الطلاب غير المحبوبين من وجهة نظر طلاب جماعة صفهم".

تعطي أداة السوسيوغرام المعلم الدافع بأن يقف لتحليل أسباب مشكلات الجماعة الصفية ، كالتمييز في المعاملة بين الطلاب ، ووجود الصراعات والشلل الفرعية ،

ومضايقة الصف للطالب المرفوض (Rejected). وهذا ما استطاع الطلاب المتدربون التعبير عنه خلال تفرغ نتائج الاختبار السوسيومترى، بأن الطالب المرفوض هو المتخلف عن جماعة الصف من الناحية التحصيلية والمستوى الاجتماعي ، أو حجمه الحسى واللغوى. وتتحدث طالبة متدربة فتقول : "من خلال الاستمارة والمشاهدة لاحظنا وجود طالب واحد متأخر من ناحية تحصيله الدراسي، وهذا الطالب يقوم بسلوكيات غير مقبولة للطلاب ويتحرش بهم، ويلقى بالمحاة عليهم، ويسبب إزعاجاً للطالبات أكثر من الطلاب ، وقد تبين ذلك عند تفرغ الاستبيانات ، حيث أشارت 14 طالبة من اصل 18 طالباً داخل الصف بأن هذا الطالب على خلاف دائم مع المعلم".

وفيما يلي عرض لموقف تربوي لإحدى الطالبات في الحقل التربوي ، لديها سنوات خبرة كثيرة في تعليم القراءة والحساب والمهارات الكتابية. وهذه المعلمة حاولت استخدام السوسيوغرام بعد سماعها عنه في إحدى دورات التأهيل. وجهت المعلمة أسئلة شفوية لمجموعة صفها، ومنها: من هو الطالب المحبوب كثيراً في صفك؟ وفي الجانب الآخر : من هو الطالب الذي لا يحبه الصف؟ من تتوقع أن يكون قائداً لصفك؟ تفاجأت المعلمة من إجابات واختيارات الطلاب، لدرجة أن أحد طلاب صفها أخذ يبكي عندما عرف أن طلاب صفه لا يحبونه ، ووصفوه بالمشاغب والمرفوض "الذي يرمى أغراضنا على الأرض " ويزعج المعلمة". وقد كان هذا الموقف أيضاً مؤلماً على المعلمة. وتكمل المعلمة حديثها قائلة : " لقد أصبحت أفكر من جديد في نوع العلاقات والأفكار والمشاعر داخل غرفة صفي...فكم هو مزعج أن يكون عندي طالب يشعر بالحزن داخل مجموعة لا تحبه ، كيف يمكنه النجاح والقراءة والكتابة واستخدام الحساب في حياته... لدى شعوره بأن الآخرين لا يوجد لديهم تقبل ومحبة له... وضعت نفسي مكان هذا الطالب ، ودوري كمعلمة داخل طاقم المدرسة الذين أشعر انهم لا يحبونني، وأنني غير مقبولة لديهم، فكيف يمكنني أن أدخل صفى وأنجح في عملي اليومى مع الطلاب؟"

من خلال هذا الموقف وتجارب الطلبة المتدربين ، تظهر أهمية الاختبار السوسيومترى في إعطاء المعلم الصورة الحقيقية عن مبنى جماعة صفه، وطبيعة القوى الكامنة من تجاذب وتنافر الأفراد ، حيث يؤكد (Zuck, 1984) بأن إدراك الأفراد للسمات الشخصية والعقلية والانفعالية ينتج عن ترتيب القوة والسلطة في أي جماعة، ففي كثير من الأحيان نجد أن بعض الطلاب يميلون نحو اختيار الطلبة الأقوياء. وذلك لتخفيف

التباين في العلاقات. كما أن نمط الاتصال وأسلوب المعلم في التعامل مع جماعة صفه لهما أكبر الأثر على توزيع واختيار الأدوار ، مثل ظهور القادة ونجوم الصف. فعلى المعلم تنظيم وتنسيق العمل بين أفراد الصف ، حتى يصبح لديه جماعة صفية داعمة. ويتحقق ذلك من خلال قيام المعلم بدوره الإنساني ، الذي يساعد التلاميذ على الاندماج والانتماء لأعضاء الصف، والعمل على اعتزازهم بالمشاركة في عمل الجماعة، فيصبح لديهم الاتجاهات الإيجابية نحو استمرار الحياة الاجتماعية ، نتيجة لاحترام جهود الجماعة و إتاحة الفرصة للطلاب ليعبر عن ذاته ، لأنه يقوم بالدور الذي يؤكد مكانته الاجتماعية.

## الخلاصة

لقد أصبح دور المعلم اليوم أعظم وأكبر من مسألة تلقين المعلومات للطلاب ، وحشوها في أذهانهم ، بل إن الاهتمام بتطوير الجانب الانساني والاجتماعي لجماعة الصف ، وتعلم احترام الأفراد لبعضهم ، وتعلم كيفية التعامل مع الآخرين ، وبناء العلاقات الإيجابية ، جميعها أصبحت تحتل مكانة هامة في نجاح العملية التربوية. وهذا ما يؤكد على أن النجاح داخل جماعة الصف مرتبط بالمعايير الشخصية لدى كل معلم فينا. ومدى إيماننا العميق بالتغيير الذي يضمن الراحة والسعادة والأمل ثم الانجاز. تعتبر الاختبارات السوسيومترية من أهم الأدوات التي تمكن المعلم من معرفة القوى الكامنة داخل جماعة صفه، كالتعرف على نجوم الصف ، والمرفوضين والمنعزلين عن الأجواء داخل هذا الصف. عند ذلك يدرك المعلم طبيعة العلاقات بين طلابه والصراعات داخل المجموعة؛ فيفحص نفسه مرة أخرى ، ويعمق فهمه للمراحل التي تمر بها جماعة صفه.

ووجود جماعة صفية داعمة وقوية العلاقات يعني وجود طلاب يحققون ذاتهم ، بانخراطهم مع الزملاء في العمل التعاوني ، وإنجاز المشاريع والمهام والأهداف المشتركة ، وقد تم التركيز في هذا المقال على كيفية استخدام الاختبارات السوسيومترية بشكل يدعو المعلم الى تغيير نظرتة تجاه عمله اليومي ودوره مع جماعة صفه ، بحيث يعمل على تحسين الاتصال وتنمية المهارات عند الطلاب ، كالمسؤولية والقيادة والمبادرة.

وفي الختام أود أن أوجه دعوة لكل مربٍ بان يطبق هذه الأداة على جماعة صفه ، ليفهم ديناميكيته ، ويسمح للجماعة برؤية نفسها بموضوعية ، لأن عالم الصف مليء بالأفكار والمشاعر والخبرات ، التي تحتاج الى الدعم والتعزيز والرعاية من قبل الطلاب أنفسهم ومن قبل المعلم أيضاً.

## المراجع

- ابراهيم، مجدي وحسب الله، عبد الحليم .(2002). التفاعل الصفّي  
مفهومه\_تحليله\_مهاراته. جامعة المنصورة: عالم الكتب، ط1.
- ابراهيم، محمود أبو زايد .(1991). تطوير التدريس في الفلسفة والدراسات  
الاجتماعية. عين شمس: مركز الكتاب للنشر
- أحمد، سهير كامل .(2001). علم النفس بين التنظير والتطبيق. الاسكندرية:مركز  
الاسكندرية للكتاب.
- جابر، عبد الحميد وآخرون .(1994). مهارات التدريس. القاهرة: دار النهضة العربية.
- زهران، حامد .(1984). علم النفس الاجتماعي. عين شمس: عالم الكتب، ط5
- شفشوق، محمود عبد الرازق، الناشر هدى .(2000). إدارة الصف المدرسي. القاهرة:  
دار الفكر العربي
- شتا، السيد. والجولاني، فادية .(1997). علم الاجتماع التربوي. مصر: مركز الكتاب  
الأكاديمي
- الكندري، أحمد .(1992). علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة. الكويت: مكتبة  
الفلاح للنشر والتوزيع

- عليان، فاطمة. (2004). "وقفه مع التخطيط التدريسي وكيفية انعكاسه على أداء طلبة السنة الأولى". الكرمة، رقم 4، 138-124
- عليان، سميرة. (2002). "انعكاسات المذهب الإنساني على نموذج إرشاد تربوي لتأهيل المعلمين العرب". الكرمة، رقم 3، 84-73
- لويس.م.سميث. (1997). العمليات الاجتماعية في المدارس الابتدائية والثانوية. ترجمة إبراهيم خليل شهاب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2
- مصالحة، عز الدين. (1995). "أهمية السوسيوغرام في العملية التربوية". مجلة دارنا، مجموعة مقالات تربوية وأدبية، كلية إعداد المعلمين العرب، حيفا.
- منسي، حسن. (1998). ديناميات الجماعة والتفاعل الصفي. الاردن: دار الكندي للنشر ودار طارق للنشر، ط1.
- هريش، نضال (2004). "بناء شراكة بين الكلية والمدرسة في عملية تأهيل المعلمين". الكرمة، رقم 4، 123-110

Zuck, J.G.(1984). "The Dynamic of Classroom Observation: Evening the Odds through Information", TESLYOL, Quarterly, 18.

Hoffman, (chris). 2001), Sociometry: Introduction to Sociometry, 12/3/2005

(<http://www.hoopandtree.org/sociometry.htm>)

זלברשטיין, מ. (1998). ההוראה כעיסוק פרקטי, רפלקטיבי, קווים לתכניות הכשרה והשתלמות חליפית. מכון מופת, משרד החינוך והתרבות.